منهج علماء التفسير المحدثين بمصر في دراسة الإعجاز البلاغي

أ. د. مجاهد مصطفى بهجت*

لا يختلف اثنان في أن كتاب الله تعالى اتصلت العناية به منذ نزوله وحتى وقتنا الحاضر وسيبقى حتى قيام الساعة، وبذلت فيه من الجهود ما لم تبذل في غيره، واهتم به العلماء اهتماماً منقطع النظير ولذلك يصعب حصر ما كتب عنه قديماً وحديثاً، وتكفي الإشارة إلى كتابين كبيرين فهرسا للدراسات القرآنية وهما: معجم الدراسات القرآنية للدكتورة ابتسام مرهون الصفار ١٩٨١، ومعجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور علي شواخ اسحق ط ١٩٨٣م.

ومن أهم الدراسات الحديثة عن اتجاهات التفسير التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد عبد الرحمن الرومي١٩٨١م، والتفسير والمفسرون في العصر الحديث لعبد القادر محمد صالح.

مقدمة في اتجاهات التفسير

ظهرت اتجاهات متعددة في التفسير أهمها في عصر التدوين: التفسير بالمأثور وأهم مصادره: الطبري والسمرقندي والثعلبي والبغوي وابن عطية وابن كثير والثعلبي والسيوطي[٢]، والتفسير بالرأي الجائز وأهم مصادره: الرازي والبيضاوي والنسفي والخازن وأبوحيان والنيسابوري والجلالين والشربيني وأبو السعود والآلوسي[٣]. أما التفسير بالراي المذموم فهو ما ألفه المعتزلة والشيعة الإمامية والبابية والبهائية، والخوارج. وهناك التفسير الصوفي والتفسير

* الجامعة الوطنية الماليزية mujahidbahjat@hotmail.com.

[٢] راجع التفسير والمفسرون ١/١٦٣-٢٦٤

[٣] المصدر نفسه ١/٢٦٥-٣٦٨.

الفلسفي والعلمي، وظهر لون جديد في العصر الحديث وهو الأدبي الاجتماعي ويمثله محمد عبده ورشيد رضا والمراغي مما رصده الذهبي.

وهناك دراسة أخرى تصنف اتجاهات التفسير على: الاتجاه اللغوي والتفسير بالأثر، والتفسير بالرأي والتفسير العلمي، والتفسير الإصلاحي، وهناك اتجاهات أخرى مثل التفسير الموضوعي والفقهي والإشاري والفلسفي[1]. وهي تقرر أن أهم هذه المدارس التفسيرية مدرستان: مدرسة التفسير بالمأثور ومدرسة التفسير بالرأي. وتصنف هذه الدراسة الاتجاه اللغوي في تفسير القرآن وتقسمه إلى ثلاثة أقسام:

١. ما يتعلق بمفردات اللغة وهو ما عرف بغريب القرآن مثل غريب القرآن لابن قتيبة.
٢. ما يتعلق بالنحو والقضايا الإعرابية مثل معاني القرآن للفراء و تفسير أبي حيان.
٣. ما يتعلق بالبلاغة والأساليب البيانية مثل كشاف الزمخشري والظلال لسيد قطب.

أما المنحى الإصلاحي الاجتماعي في التفسير فظهر في العصر الحاضر لوجود عوامل الضعف والتخلف، والجهل بأحكام الإسلام ومفاهيمه، واستحكام العادات والتقاليد المحلية، وظهور البدع والخرافات، ولوقوف أكثر علماء المسلمين من الحضارة الغربية موقفاً سلبياً، لذلك قام عدد من العلماء بحمل مهمة التفسير الإصلاحي الاجتماعي للقرآن منهم الأفغاني ومحمد عبده والسيد محمد رشيد رضا رحمهم الله جميعاً.

ويرصد بعض الدارسين اتجاهات التفسير في العصر الحديث في أربعة اتجاهات: العقائدي وفيه: السنة والشيعة والإباضية والصوفية، والعلمي وفيه: الفقهي والأثري والعلمي التجريبي، والعقلي الاجتماعي وفيه: البياني والتذوق الأدبي، والمنحرف وفيه: الإلحادي، والمقصر واللامنهجي[2].

ويقسم دارس آخر التفسير في العصر الحديث إلى اتجاهات ثمانية هي: العام ومنه: تفسير ابن عاشور والصابوني، والمنهجي ومنه: تفسير الشعراوي، والموضوعي ومنه: تفسير الشنقيطي، والأدبي والاجتماعي ومنه: تفسير رشيد رضا ومحمد عبده والمراغي، والفقهي ومنه: أحكام الصابوني والسايس، والإشاري ومنه: المنح الفاخرة للحمصي، والبلاغي ومنه: تفسير بنت الشاطئ والدرويش والدرة، وأخيرا الحداثي[3].

---

[1] راجع لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: لطفي الصباغ ولخص كتابه على شبكة الإنترنت الطالب: أحمد محمد بوقرين

[2] راجع اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد عبد الرحمن الرومي، ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٦م.

[3] راجع التفسير والمفسرون: عبد القادر محمد صالح، ط دار المعرفة، لبنان

ويقسم دارس آخر التفسير إلى أنواع: المأثور، والفقهي، والنحوي، والبياني، والموضوعي، والتوجيهي، والعلمي، والسياسي الكلامي، والصوفي، والأدبي، والمتعسف، والميسر، والإذاعي، والحديث[1].

وسأذكر بعض ما ألف من كتب التفسير حديثاً – مما تيسر الوقوف عليها– لمحاولة معرفة اتجاهاتها وأهدافها، وعلاقتها بالتفسير البلاغي

١– تفسير الشيخ المراغي: ذكر المؤلف نهجه في التأليف على النحو الآتي[2]:

أ– شرح المفردات بعد آية أو أكثر في غرض واحد. ب– ذكرالمعنى الجملي مع ذكر ماصح من أسباب النزول. ج– الإعراض عن ذكر مصطلحات العلوم الخاصة من نحو وصرف. د– مشاكلة حاجة العصر في أسلوبه وطريقته، سهل المأخذ، على قدر عقول المخاطبين، مستطلعاً آراء العارفين بالفنون لفهم الآيات المشيرة إلى بعض النظريات، ومعرضاً عن ذكر الرواية "إلا إذا تلقاها العلم بالقبول"[3].

٢– صفوة التفاسير للشيخ الصابوني: يمكن استخلاص منهجه في تفسيره فيما يأتي:

أ– البيان الإجمالي وتوضيح مقاصد السورة الأساسية، والمناسبة بين الآيات السابقة واللاحقة مع ذكر سبب النزول. ب– اللغة مع بيان الاشتقاق خلال الشواهد العربية. ج– التفسير مع ذكر الوجوه البلاغية والفوائد واللطائف[4].

٣– التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي: يعتمد منهجه بعد تقسيم الآيات إلى وحدات موضوعية على النحو الآتي:

أ– بيان ما اشتملت عليه السورة إجمالاً، مع ذكر أسباب النزول ب– توضيح اللغويات والتفسير والبيان ج– ذكر الأحكام المستنبطة د– ذكر وجوه البلاغة والإعراب[5]. وله التفسير الوسيط، وله الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ط دار المكتبي دمشق١٩٩٧م.

٤– التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور ذكر غفلة المفسرين عن فن دقائق البلاغة مما لاتخلو عنه آية من القرآن، لذلك اهتم ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية، وبيان

---

[1] راجع التفسير القرآني محمد رجب البيومي، مكتبة المسلم العصرية، القاهرة ١٩٨٨

[2] تفسير المراغي المقدمة ص١٦– ١٨ .

[3] المصدر نفسه ص١٩

[4] راجع صفوة التفاسير ص١٥.

[5] التفسير المنير ص٩.

تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وبيان أغراض السور فضلاً عن معاني المفردات[1]، وجعل لتفسيره عشر مقدمات آخرها في إعجاز القرآن الكريم[2].

٥- **تفسير الشيخ الشعراوي:** (غير كامل) يعتمد المنهج اللغوي التحليلي، ويذكر أن القرآن تحدى العرب في اللغة والبلاغة..وحين جاء يتحدى غير العرب تحداهم في آيات الكون والخلق[3]. وله معجزة القرآن الكريم ط دار النصر، بيروت د.ت.

تتناول هذه الدراسة التفاسير الثلاثة لأبي زهرة وبنت الشاطئ وشوقي ضيف، ويلاحظ أن كل واحد منهم له كتاب في إعجاز القرآن الكريم فضلاً عن التفسير، وهو يعني أن مسألة الإعجاز لها أهميتها في التفسير بما يجعل المؤلفين يفردون لها كتابا آخر غير التفسير.

أولاً: الإمام أبو زهرة حياته ومنهج تفسيره

اسمه وصفاته:

الإمام محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبد الله أبو زهرة من أسرة متدينة ومثقفة حيث أن جده الشيخ مصطفى أبو زهرة لقب بشيخ المحلة لتمكنه في العلوم الدينية والدنيوية وكذلك جرأته في الحق والوقوف مع أهل بلدته ضد ظلم القصر وأعوانه، فكان أهلا لهذا اللقب، ولد سنة ١٨٩٨م، وتوفي سنة ١٩٧٤م[4] "كان رحمه الله متوسط الطول، ممتلئ الجسم، أبيض اللون، مشربا بحمرة، جهير الصوت، واضح النبرات، شديد الإيمان بما يقول، حلو الحديث، جميل الشمائل، حاضر النكتة، ناصع الظرف، كيس العقل، حر الفكر، مستقل الرأي، يمزج في محاضراته العلم الجاد الوقور بالدعابة الحلوة الخفيفة"[5].

نشأته العلمية:

حفظ الإمام القرآن الكريم و تعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم انتقل إلى معهد الأحمدي في طنطا[6] حيث درس فيه ثلاث سنوات وخلال هذه المرحلة بدأ نبوغه وتفوقه على أقرانه حيث اتصف بالذكاء والفطنة مع رجاحة في العقل ودقة في التفكير. التحق بمدرسة القضاء الشرعي

[1] راجع التحرير والتنوير ص٨

[2] راجع المصدر نفسه ص١٠١-١٣٠

[3] راجع مقدمة تفسير الشعراوي ص١٢، ١٩.

[4] أبو بكر عبد الرزاق (١٩٨٥م). قمم إسلامية، أبو زهرة إمام عصره. دار الاعتصام. القاهرة. ص ٢٥ و٢٢٥.

[5] المرجع السابق ص٢٢٠.

[6] نسبة إلى أحمد البدوي مؤسس الطريقة الأحمدية الذي لايزال ضريحه مزاراً مشهوراً.

سنة ١٩١٦م بعد اجتيازه امتحاناً دقيقاً وتخرج فيها سنة ١٩٢٤م حاصلا على عالمية القضاء الشرعي ثم اتجه إلى دار العلوم لينال معادلتها سنة ١٩٢٧م بعد ثلاث سنوات وهكذا أكمل مراحل دراساته الرسمية.[١]

نشاطاته العملية:[٢]

تقلد الإمام العديد من المناصب الرسمية ذات الاتجاهات العلمية ومنها:

- عمل محاميا لمدة عام تحت التمرين.
- بعد تخرجه من دار العلوم سنة ١٩٢٧م اشتغل مدرساً للشريعة واللغة العربية بتجهيزية دار العلوم والقضاء الشرعي لمدة ثلاث سنين. ثم انتقل إلى التدريس في المدارس الثانوية العامة لمدة سنتين ونصف. وفي سنة ١٩٣٣م عين مدرساً في كلية أصول الدين، ثم نقل إلى كلية الحقوق سنة ١٩٣٤م مع بقائه بالانتداب في كلية الشريعة إلى سنة ١٩٤٢م و بقي مدرساً في كلية الحقوق حتى جاوز سن التقاعد إلى أن صدرت الأوامر العليا إلى إدارة الكلية بمنعه من التدريس. ثم عين مدرساً في معهد الدراسات العربية العالي التابعة لجامعة الدول العربية سنة ١٩٤٦م.
- تدرج في مراتب التدريس في كلية الحقوق من مدرس إلى أستاذ مساعد إلى أستاذ ذي كرسي إلى رئيس قسم الشريعة. شارك في تأسيس جمعية الدراسات الإسلامية وإنشاء معهد الدراسات الإسلامية وعمل أستاذاً ورئيساً لقسم الشريعة بها. انتخب عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف سنة ١٩٦٢م. تولى تدريس الشريعة الإسلامية في كلية المعاملات والإدارة بالأزهر سنتي ١٩٦٣-١٩٦٤م[٣].

إنتاجه العلمي:

تزخر المكتبة الإسلامية بعدد كبير من مؤلفات الإمام في مجالات العلوم الشرعية، وتعد من المصادر المهمة للدارسين والباحثين لما تحتويه من معلومات قيمة ومنهجية حديثة[٤].

---

[١] عبد الرزاق. قمم إسلامية، أبو زهرة إمام عصره. ص ٢٣-٣١

[٢] المرجع السابق. ص ٣٠. وانظر أيضا: العقيل. عبد الله (٢٠٠١م). من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة. مكتبة المنار الإسلامية. الكويت. ص ٥٨٤-٥٨٥.

[٣] المرجع السابق. نفس الصفحات.

[٤] انظر المرجع السابق ص ٢١٥- ٢٢٥.

أ- مؤلفاته فيما يتعلق بالقرآن وعلومه: القرآن المعجزة الكبرى وزهرة التفاسير.

ب- مؤلفاته في التراجم والتاريخ:[1]سلسلة عن العلماء الفقهاء الذين درس حياتهم وعصرهم، آراؤهم وفقههم وهم: ابن تيمية، وابن حزم، وأبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل والإمام زيد والإمام الصادق. وسلسلة عن أعلام آخرين وهم: ابن جرير الطبري، وأبو الحسن الأشعري، والغزالي الفقيه، وابن خلدون الفقيه. وسلسلة تاريخية عن: تاريخ الجدل، تاريخ المذاهب الإسلامية، تاريخ المذاهب الفقهية، خاتم النبيين ﷺ.

ج- مؤلفاته في الفقه والأحوال الشخصية:[2] الاجتهاد، والإجماع، وأحكام التركات والمواريث، والأحوال الشخصية، وأصول الفقه، وأصول الفقه الجعفري، التكافل الاجتماعي في الإسلام، التكافل الاجتماعي في الزكاة، تنظيم الإسلام للمجتمع، تنظيم الأسرة للمجتمع الصغير، تنظيم الأسرة وتنظيم النسل، التوبة وأثرها في الحدود في فقه الإسلامي، الجريمة في الفقه الإسلامي، الجريمة والعقوبة في الشريعة الإسلامية، الجهاد.، لحرب في الإسلام، الربا، الزكاة والخراج، شرح قانون الوصية، قواعد العقوبة في الإسلام، مشكلة الوقف، المصالح المرسلة في الفقه الإسلامي، الوقف في حاضره وماضيه، الولاية على النفس وعلاقتها بالمجتمع الإسلامي.

د- مؤلفاته العامة:[3] أهل الكتاب، الجزائر المسلمة، الحديث والمحدثون، الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، شريعة القرآن وقانون الرومان، شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله، العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، مجموعة الفتاوى، محاضرات في الديانات القديمة.

ولأهمية كتابه "**القرآن المعجزة الكبرى**" هذا عرض لمحتوياته: الكتاب في قسمين[4]:

القسم الأول: نزول القرآن: تحدث فيه عن نزول القرآن، وحكمة نزوله منجما، المكي والمدني، كتابة القرآن وجمعه، وجمع القرآن في عهد عثمان وحديث نزول القرآن على سبعة أحرف، وتحريق غير المصحف الإمام وغير ما نسخ منه. ثم تحدث عن ترتيب الآيات والسور، وقراءات القرآن وفائدة وجوه القراءات.

---

[1] انظر المرجع السابق ص ١٢٢- ١٢٤.

[2] انظر المرجع السابق. نفس الصفحات

[3] انظر المرجع السابق. نفس الصفحات

[4] انظر: أبو زهرة. محمد (١٩٩٨م). المعجزة الكبرى. ، القرآن، نزوله، كتابته، جمعه، إعجازه، جدله، علومه، تفسيره، حكم الغناء به. في ٤٢٩ص ، ط دار الفكر العربي. القاهرة. ص ٦٥-٧٠.

القسم الثاني: إعجاز القرآن: يشرح الإمام مراده من وجوه الإعجاز وهي الأمور التي اشتمل عليها القرآن، وهي تدل على أنه من عند الله، وعجز البشر عن الإتيان بمثله وما كان في استطاعة الجن والإنس أن يأتوا بمثله. وبعد ذكر أقوال العلماء في هذه الأوجه وشرحها ذكر رأيه في هذه الوجوه التي قسمها إلى قسمين وهما:

أولاً: ما يتعلق بالمنهاج البياني؛ وهذا النوع من الإعجاز أول من يخاطب به العرب، لأنه جاء بلغتهم، ولأنهم بمقتضى بداوتهم مع استقامة تفكيرهم، ومع وجود نبوات سابقة فيهم أبقت على بعض العلم، وبمقتضى ثقافتهم اللسانية وعنايتهم بلغتهم كانوا أكثر الناس إدراكاً لمعنى الإعجاز في القرآن من ناحية بيانه ونغمه وجزالته وكذلك كانوا هم المخاطبين به أولاً وبعجزهم قام البرهان الأول.

ثانياً: الإعجاز بما اشتمل عليه من ذكر لأخبار السابقين ولأخبار المستقبل، وقعت كما ذكر، واشتماله على علوم وحقائق كونية لم تكن معروفة في عصر محمد ﷺ، وقد أتى بها القرآن وتقررت حقائقها من بعد، وكذلك ما اشتمل عليه من شرائع أثبت الوجود الإنساني أنها أصلح من غيرها وأنها وحدها العادلة، وأن هذا النوع معجزة للأجيال كلها. وضمن حديثه عن وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم يتناول النقاط الآتية:

أ- **ألفاظ القرآن وحروفه:** حيث يذكر خلاف العلماء حول كون الفصاحة والبلاغة في الألفاظ والحروف ويناقش أدلتهم وينتهي إلى أن للألفاظ جمالاً، وأنها في النظم تكون لنغماتها وألحانها مساعدات للمعاني ولكن لا تكون الألفاظ وحدها والكلمات منفردة سبباً للإعجاز. ثم يذكر أن كل لفظ في القرآن الكريم له معنى قائم بذاته وأن كل لفظ يساعد بعضه بعضاً في المعاني العامة للأسلوب والعبارات الجامعة.

ب- **الأسلوب القرآني:** يعرف الأسلوب بقوله: "الأسلوب هو الصورة البيانية التي تظهر في معنى رائع وكلام مشرق، يثير في الأنفس أخيلة الحقيقة، يصورها ويبينها، ويحس الإنسان فيها بأطياف المعاني، كما يحس بأطياف الصورة على حسب تثقيف المصور، وحسن الاختيار في ألوان الصورة، فللأساليب ألوان تحس، وتنسق، وتصريف في أوضاعها.

أما الصور البيانية فهي التي يتألف منها الأسلوب، والتآخي بين الألفاظ في النغم وفي تناسق القول، حيث يبين الإمام أن كل كلمة تكون في موضعها الذي وضعت، لا تنفر من أختها ولا يمكن تغييرها. يقول عن التآلف بين الألفاظ والمعاني: "وإذا كانت ألفاظ القرآن

ومعانيه لها ذلك المكان الأسمى الذي لا يمكن لأحد أن يناهد إلى سمائه إنسان أو جن، شرقي أو غربي، فإن في القرآن مع جمال الألفاظ ورونق الأسلوب خاصة لا يصل إليها أحد في الألفاظ والأسلوب والمعاني".[1]

ج- **تصريف البيان:** يقصد به ما يتضمنه القرآن الكريم من التوحيد والتكاليف الشرعية بأوجه مختلفة من البيان، من تمديد وإنذار إلى تبشير وتوبيخ واستنكار ودعوة إلى التأمل في آيات الله وغير ذلك. ويقسم التصريف إلى قسمين:

أولاً: التصريف في المعاني: "فإن المؤدى في جملته يكون واحداً ولكن يختلف في دلالته بالنسبة للسياق، فالقصة الواحدة كقصة نوح عليه السلام تذكر في القرآن في عدة مواضع ولكن لها في كل مرة عبرة، وهذا تصريف في المعاني وإن كانت الألفاظ تختلف أو تتقارب أو تتحد العبارات في بعض الأحيان".

ثانياً: التصريف في الألفاظ والمعاني: وهو أول ما يكون في السور؛ فمنها الطوال ومنها القصار ومنها المتوسط، يقول في هذا الصدد: "وكأن الله ﷻ بذلك التصريف في السور بين الطويل والمتوسط والقصير، وكلها في أعلى درجات البلاغة، يقدم مائدته الكبرى وهي القرآن الكريم للناس أجمعين: ذوي العلم الذين يتسع علمهم للإحاطة بالسور الطوال وما فيها من علم بالشريعة، وما فيها من علم الكون الذي لا يحيط به من دونهم، وهم أوتوا مدارك تسمو إليها وتستخرج من كنوزها جواهر. وأعطى الذين يشغلهم أسباب الرزق عن الإحاطة قصار السور وفيها غناء لا قصور فيه بل إنه كمال في كمال. وبين هؤلاء وأولئك الذين يطلبون السور المتوسطة طولاً، وهم الشادون في العلم

الذين لهم من وقتهم ما يمكنهم أكثر ممن كانت لهم السور القصار".[2]

د- **نظم القرآن وفواصله:** يقول الإمام أبو زهرة: "لقد وجدنا للقرآن حلاوة في الألفاظ والأسلوب والفواصل وغير الفواصل ليست في غيره وهذا ما سميناه النظم تقريباً

للفهم ولكلام الله المثل الأعلى".[3] ثم يورد الإمام أقوال العلماء في نظم القرآن وفواصله ويبين عجز البشر عن الإتيان بمثل نظمه ويبين أن نظمه ليس من قبيل ما اصطلح عليه علماء

[1] أبو زهرة. محمد (١٩٩٨م). المعجزة الكبرى. ص ١١٣.
[2] المرجع نفسه ص ١١٧- ١١٨.
[3] المرجع نفسه ص ٢٠٥.

البيان من نثر أو شعر بل هو نظم اختص به من كل الكلام، وهو معجزة يعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله أبد الدهر.

وكذلك يناقش مسألة السجع في القرآن الكريم بين المثبتين والمانعين ويبين أن الخلاف في الاصطلاح وأن المثبتين يفهمون معنى السجع بأنه الاتحاد في حروف المقاطع من غير أن يكون المعنى تابعاً للألفاظ وبهذا يحكمون بأن القرآن فيه سجع فوق قدرة البشر، والمانعون يفهمون السجع كالشعر، يكون المعنى فيه تابعاً للقوافي والأوزان وبهذا يكون القرآن مترهاً عنه. ثم يبين موقفه قائلاً: "ونحن نميل إلى أن اتحاد المقاطع في القرآن لا يعد سجعاً، لأننا نرى السجاعين يتجهون إلى الألفاظ أولاً، وقد يكون سهلاً وحلواً، ولكن الاتجاه فيه أولاً للألفاظ وذلك غير لائق بالنسبة للقرآن".[1]

هـ- **الإيجاز والإطناب في القرآن:** يقسم الكلام بالنسبة لمعناه إلى أربعة أقسام:

١. الإيجاز: وهو أن تكون الألفاظ قليلة والمعاني كثيرة.

٢. التقصير: وهو أن تكون الألفاظ غير كافية في الدلالة.

٣. الإطناب: وهو أن تكون المعاني كثيرة والألفاظ كثيرة لا حشو فيها.

٤. التطويل: وهو أن تكون الألفاظ كثيرة وفيه ما لا حاجة إليه.

ثم يبين أن الإيجاز في القرآن ليس فيه قصور في الألفاظ بجوار كثرة المعاني وليس فيها إبهام أو عدم وضوح بل الألفاظ تكون على قدر المعاني مع كثرتها، وكذلك الإطناب فإن المعاني تكون كثيرة والألفاظ على قدرها لا زيادة فيها، بحيث لا يمكن الاستغناء عن بعضها أو جزء منها والاكتفاء ببعضها.

هذه هي أهم الجوانب البلاغية التي تناولها الكتاب، ثم تحدث عن جدل القرآن واستدلاله، وكيفية تفسير القرآن ومناهج التفسير والتفسير بالأثر والتفسير بالرأي، وختم الكتاب بالحديث عن الغناء بالقرآن وتحريمه والتغني الجائز المأثور وإبطال ما سواه.

مزايا التفسير ومنهجه

١- أنه تفسير **معاصر بأسلوب معاصر** يعالج القضايا المستحدثة كالقضايا الفقهية أو أوجه الإعجاز، تاركاً الأغاريب، والقراءات المختلفة، مطنباً أحياناً لتقريب المعاني للناس[2].

---

[1] المرجع نفسه ص ٢٢١.

[2] أبو زهرة. محمد (د.ت). زهرة التفاسير. ج١. دار الفكر العربي. القاهرة الافتتاحية ص ١٩.

٢- **الحيادة وعدم التقليد الأعمى** لمذهب أو فرقة بل كانت له نظرة العالم البصير بأسلوبه الفريد بمنهج علمي دقيق وعبارات سهلة يسيرة يقول: "فليست معاني القرآن أشعرية ولا ماتريدية ولا اعتزالية، وإن تخريج الآيات على مقتضى مذهب من المذاهب يجعل القرآن مفرقا، ويجعله عضين وذلك حرام".[١]

٣- **خلو تفسيره من الإسرائيليات:** حيث يقول رحمه الله: "وإنه يجب التنبيه إلى أن الواجب العلمي إبعاد الإسرائيليات عن تفسير القرآن، وتنقية كتب التفسير منها، وإذا قيل إن منها ما يوافق النصوص القرآنية، ولا يخالفها، نقول إن في القرآن غنى عنها..".[٢]

٤- **الاعتماد على النقل والعقل:** يقول الإمام: "وإن الطريقة المثلى التي توصل إلى الغاية في فهم القرآن، وتعرف معانيه، وإدراك دلائل إعجازه هي الاعتماد على النقل والعقل، فلا يصح الاقتصار على النقل وحده ولا على العقل وحده، وإنما النظر الأمثل هو أن يعتمد على العقل والرأي وعلى السماع من أقوال رسول الله ﷺ في فهم القرآن، وإنه كلما اتسع أفق العقل البشري في فهم الكون والحقائق والشرائع اتسع فهمه للقرآن الكريم.[٣]

٥- **الاستفادة من المراجع من التفاسير القديمة والحديثة** والنقل عنها مباشرة مع نقد ما ينبغي نقده مع شرح نقاط الضعف فيها، والاستفادة من علوم العصر في إبراز المعجزات الكونية في القرآن الكريم.

وبين أن المناهج في تفسير القرآن الكريم تختلف باختلاف مصادر التفسير وهي أربعة:

أولاً: **المأثور عن النبي ﷺ**: وهو السنة الشريفة الشارح المبين الأول للقرآن الكريم لأن أحكام الحلال والحرام لا تفصيل لها إلا في السنة فمخالفتها مخالفة لصاحب الرسالة.

ثانياً: **أقوال الصحابة**، ثالثاً: **أقوال التابعين:** وهم تلاميذ الصحابة.

رابعاً: **الرأي**، ولكي يكون التفسير بالرأي مقبولاً لابد من شروط ثلاثة:

١- العلم باللغة لكي يدرك معاني التصريف البياني في القرآن الكريم. ٢- ألا يخالف المأثور عن النبيﷺ. ٣- أن يكون خاليا عن تأثير الهوى في التعصب المذهبي أو الفكري لئلا يخضع القرآن لما يتعصب له[٤].

---

[١] نفس المرجع ص٣٩

[٢] نفس المرجع ص ٣٠.

[٣] نفس المرجع ص ٣٥-٣٦.

[٤] المعجزة الكبرى ص ٣٩٧-٤١٢.

الوجوه البلاغية في تفسير الزهرة:

إن من أبرز سمات الإعجاز في القرآن الكريم هو الجانب البلاغي حيث انبثق من جمال نظم القرآن واستقل علماً له مقوماته ومبادؤه، وقد اعتنى به المفسرون واتخذوه وسيلة لشرح القرآن الكريم وتفسيره، وكان للإمام أبي زهرة في العصر الحديث حظ من ذلك إذ غلب على تفسيره أكثر من المباحث اللغوية الأخرى.

ويلاحظ أن الإمام أبا زهرة اتخذ من علوم البلاغة وسيلة لتقريب المعاني للأفهام، ويتضح هذا من خلال كثرة تعرضه للمسائل البلاغية حيث أن الفنون البلاغية الثلاثة وهي المعاني والبيان والبديع وردت في تفسير سورة الأنعام مثلاً، وكان علم المعاني أكثر هذه الفنون الثلاثة ذكراً حيث أنه يمثل ما يقارب النصف من مجموع الإشارات البلاغية الواردة في هذه السورة المباركة، ويليه علم البديع وإن كانت هذه الإشارات محصورة في فن التنكيت وحده إلا إشارتين في فن المقابلة والانفصال، ويليه علم البيان الذي وإن كانت عدد الإشارات فيه أقل من سابقيه إلا أنها تناولت جميع فروعه من التشبيه والمجاز بفرعيه: الاستعارة والمجاز المرسل، والكناية[1]. ونقدم أمثلة توضيحية لهذه الوجوه البلاغية:

الخبر والإنشاء:

الخبر: الخبر طلبي وإنكاري ولتوكيد الخبر أدوات وأساليب متعددة، وله أغراض مختلفة، ذكر الإمام أبو زهرة الغرض من التوكيد بعد الآية ٢٢ "وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ" قائلاً: "والحشر مؤكد بكلمة (جميعاً) وهذا التأكيد يمنع احتمال التخصيص".[2] فالتوكيد هنا توكيد معنوي والغرض من التوكيد في هذا المقام هو التعميم. وفي قوله تعالى:"وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ" الآية١٥٦ بين التوكيد الوارد في الآية الكريمة بقوله: "وقد أكدوا غفلتهم بعدة مؤكدات: أولها: (إن) المخففة فهي للتأكيد، ثانيها: (كنا) وهي تدل على استمرار غفلتهم، ثالثها: الجملة الاسمية فهي تؤكد ثبوت الغفلة، ورابعها: اللام"[3].

الإنشاء: وهو على قسمين: إنشاء طلبي وغير طلبي؛ وللإنشاء الطلبي أساليب متعددة منها:

---

[1] راجع الوجوه البلاغية في تفسير الزهرة: أحمد سلطان رسالة ماجستير في الجامعة الوطنية الماليزية.

[2] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٤٦٨.

[3] نفس المرجع. ج ٥. ص ٢٧٤٨. وراجع في الآيات:١٣٨،١٢٤، ١٥٧من سورة الأنعام معنى السين لتوكيد وقوع الحدث فضلاً عن دلالته للمستقبل القريب المرجع السابق: ج ٥. ص ٢٦٥٩. وص ٢٦٩٣. وص ٢٧٥١.

الاستفهام: ويخرج الاستفهام عن معناه الوضعي للدلالة إلى معان أخرى وهي:

الإنكار: وهو قسمان: الاستفهام التكذيبي والتوبيخي[1]، وقد يكون الغرض التقرير مع التوبيخ، أو التوبيخ مع النفي ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: "أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ" آية٦، والاستفهام هنا إنكاري لإنكار الواقع فهو للتوبيخ، لأنهم فعلاً أعرضوا واستهزأوا و لم يتدبروا ويتصبروا".[2] ومثل ذلك في الآية ٢١ فالاستفهام إنكاري لإنكار الوقوع وفيه توبيخ للمشركين"[3]. ويرد الاستفهام بمعان أخرى كالتنبيه والتعجب والحث مما نبه عليه أبو زهرة.

الإطناب: وله طرائق متعددة منها:

الاحتراس: ورد في قوله تعالى:"لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" آية ١٠٣ففي هذه الآية الكريمة أثبت الله ﷻ أن الأبصار لا تدركه عز شأنه، فاقتضت البلاغة هذا الفن تفادياً لأن يظن ظانّ أنه إذا لم تدركه الأبصار لم يكن موجوداً، فقال: وهو اللطيف الخبير ليثبت لذاته العلية الوجود[4].

الإيجاز وأنواعه:

والإيجاز ينقسم إلى قسمين: إيجاز القصَر وإيجاز الحذف والأخير ينقسم إلى خمسة أقسام: الاقتطاع والاكتفاء والتضمين والاحتباك والاختزال: ونمثل لأحدها مما نبه عليه:

الاكتفاء: وقد ورد في قوله تعالى: "وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" آية١٣ حيث اكتفى بذكر السكون عن ضده وهو الحركة لأن كل ساكن له حركة ما، فالحركة والسكون متلازمان بهذا المعنى، ويقول الإمام أبو زهرة عند تفسير لهذه الآية الكريمة: "(سكن) هنا من السكون بمعنى الاستقرار.." ثم يقول:"وقد يراد به السكون الذي هو ضد الحركة، .. ولا مانع من أن يراد المعنيان معاً إذ يعلم سبحانه كل ما استقر في السماوات والأرض، ويعلم حركاتهما وسكناتهما"[5].

---

[1] راجع: عباس ص ٢٠٠.

[2] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٤٣٨وص ٢٤٦٧. وص ٢٥٠٤.

[3] الأمثلة كثيرة في هذا الضرب من الاستفهام منها الآية ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٧١، ٨٠، ٩٣، ١١٤، ١٢٢، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٨، ١٥٧.

[4] راجع: الدرويش. ج ٣. ص١٨٩.

[5] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٤٥٢.

القصر: ورد في قوله تعالى:"قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـــهٌ وَاحِدٌ" آية١٩، حيث قصر الألوهية، وهي صفة، على الله ﷻ، وهو جل جلاله موصوف، فالقصر هنا قصر الصفة على الموصوف وطريقة القصر بالأداة (إنما). يقول الإمام أبو زهرة: "وهذا النص السامي يتضمن أمرين: أولهما- وحدة الله تعالى، وقد نص عليه بقوله تعالى: ﴿ إنما هو إله واحد﴾ وهذا يفيد قصر الألوهية على الله تعالى فلا يعبد سواه سبحانه، ويفيد مع ذلك أنه لا يتصور أن يكون المعبود بحق غير واحد؛ لأن المنشئ المكون المدبر واحد، ولا يتصور بمقتضى النظر إلا أن يكون المعبود واحداً".[1] ومثل ذلك في آيات أخرى مثل: الآية ٤١ و٦٠و٧١.

الالتفات: "هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، والانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر".[2] ورد في الآية السادسة وهي قوله تعالى:"أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ" حيث انصرف في ما لم نمكن لكم من الإخبار إلى الخطاب. كذلك انصرف في الآية ٣٢ عن الإخبار إلى الخطاب في قوله: أفلا تعقلون﴾. وذكره عند تفسيره للآية١٤٨"إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ" والسياق يقتضي (إن يتبعون) و (إن هم) فبين سر هذا الالتفات بقوله: "وقد التفت الله ﷻ في خطابه الكريم من الغيبة إلى الخطاب لتكون المواجهة أرهب في نفوسهم، وليفزعوا إلى الحق وليلتزموا قول الحق- ولكنهم لا يعلمون".[3]

علم البيان ومنه: التشبيه والمجاز والكناية

أولاً: **التشبيه**: هو الدلالة على مشاركة شيء لشيء في معنىً من المعاني أو أكثر على سبيل التطابق أو التقارب لغرض ما[4]، ففي قوله تعالى:"وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ" آية٣٩ حيث شبه الذين كذبوا بآيات الله بالصم والبكم، ووجه الشبه الذي هو عدم الاستجابة محذوف، وكذا أداة التشبيه. تعرض لها وبين أن الله ﷻ شبه حال المكذبين بآياته بحال الصم والبكم الذين يسيرون في الظلمات، وبعد شرح المشابهة بين هؤلاء وأولئك، أدرج هذه المشابهة ضمن الاستعارة التمثيلية، حيث قال: "فالكلام فيه استعارة تمثيلية إذ شبهت حال

[1] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص٢٤٦٥.
[2] طبل. د. حسن (١٩٩٠م). أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. الطبعة (لم يذكر). دار الكتب. القاهرة. ص١١.
[3] أبو زهرة. ص ٢٧٢١.
[4] الميداني. ج ٢. ص ١٢٦.

الجاحدين الذين يعرضون عن كل آية بحال الصم والبكم الذين يعيشون في الظلام من حيث لا نور يهديهم، ولا سبيل لأن يهتدوا"[1].

التشبيه التمثيلي: "وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد، حسيا كان أو معنوياً".[2] ورد في قوله تعالى: "أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ" الآية ١٢٢حيث شبه الله ﷻ الذي هداه الله بالميت الذي أحياه ﷻ، فالمشبه هو الذي هداه الله، والمشبه به هو الميت الذي أحياه الله، وجه الشبه وصف منتزع من متعدد وهو النور والهداية وفي هذا المقام معنوي.

وورد في قوله تعالى: "وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ" آية١٢٥حيث شبه حال من جعل الله صدره ضيقاً حرجاً بحال من يكلف الصعود إلى السماء وهو عاجز، فالمشبه هو من جعل الله صدره ضيقاً، والمشبه به هو من يحاول صعود السماء عاجزا، ووجه الشبه منتزع من متعدد وهو من المثل الذي يضرب لمن يحاول مزاولة ما لا يكاد يقدر عليه كصعود السماء.[3]

ثانيا: المجاز ومنه الاستعارة: وردت في قوله تعالى:" بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْه" الآية٤١ حيث استعير (يكشف) للإزالة، فالمستعار هو يكشف، والمستعار منه: رفع الغطاء، والمستعار له: الإزالة، وهي استعارة تبعية لأن المستعار فعل. الإمام أبو زهرة يشير إلى هذا قائلاً: "وأن الله تعالى يكشف أي يزيل الضر، وكأن الشدة غطاء غامر محيط، وإزالته كشفه، ففي هذا التعبير استعارة فيها تشبيه حال إزالة الشر بحال كشف غطاء غامر مؤلم، بجامع إزالة الضر في كل، وإظهار السلامة".[4]

الاستعارة التصريحية: يشير أبو زهرة إليها في قوله تعالى: "وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ" آية٤٩ بقوله"وعبر سبحانه عن إصابة العذاب وإدخالهم جهنم بـــ(يمسهم) لأن موضع الإحساس بالألم الشديد هو الجلد، فمسه بالعذاب الشديد هو الإيلام الشديد".[5] وهي استعارة تصريحية لأن المستعار منه أو المشبه به في الأصل مذكور وكذلك تبعية لأن المستعار بصيغة الفعل فهي استعارة تصريحية تبعية.

---

[1] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٤٩٢-٢٤٩٣.
[2] الهاشمي. ص ٢٢٧.
[3] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٦٦٢-٢٦٦٣.
[4] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص٢٤٩٥، وراجع أمثلة أخرى ص٢٥١٠، وص٢٦١٩، وص ٢٥٤٤.
[5] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٥٠٧.

الاستعارة المكنية: ورد منها في قوله تعالى: "قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ" آية٣٠.[١]

الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى: "وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ" آية٣١ حيث شبه ﷻ حمل الذنوب الخطايا بحمل الأوزار، فالمستعار منه: المعنى الأصلي للعبارة، والمستعار له: حمل الذنوب والخطايا، والاستعارة تمثيلية لأنها مركبة، وتصريحية لأن المستعار مذكور بذاته، فهي **استعارة تمثيلية تصريحية**. ويقول الإمام في هذا الموضع بعد سرد الآية: "الوزر الحمل الثقيل، وسمي به الإثم والذنب؛ لأنه أثقل الأحمال النفسية التي تنوء به القوة، والجملة استعارة تمثيلية لما يثقلون به يوم القيامة من أثقال الآثام، "[٢].

المجاز المرسل: العلاقة السببية: ورد في قوله تعالى: "فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ"آية١٠، يقول الأمام أبو زهرة: "وإنما الذي حاق هو العذاب لا ذات السخرية، ويقول العلماء: إن ذلك مجاز علاقته السببية، فهو عبر بالسبب وأراد المسبب، وإن ذلك يفيد أن العذاب ملازم لهذه السخرية لا ينفصل عنها، فحيث كانت كان عذابها لا محالة"[٣].

العلاقة المسببية: ورد في قوله تعالى:"وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ" آية٦٩ مجاز مرسل يراد به الأعمال المحسوبة، وعلاقته مسببية لأن الأعمال سبب الحساب والحساب أثر عن الأعمال، يقول: "فالمراد من حسابهم أي أعمالهم المحسوبة عليهم، فهو من إطلاق المصدر على اسم المفعول باعتبار أن العمل هو السبب في الحساب، وهو من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب".[٤]

الكناية: وردت في قوله تعالى: "فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" آية١٠، فقوله تعالى (فحاق بهم) كناية عن إهلاكهم، إذ ليس في العبارة قرينة مانعة عن إرادة المعنى الأصلي لـــكلمة (حاق) الذي يعني أحاط[٥]، وفي الآية التاسعة والخمسين، يشير أبو زهرة إلى هذا المعنى في معرض حديثه عن النكتة في جمع الظلمات مع كون ظلمة باطن الأرض واحدة حيث

[١] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٤٧٩.
[٢] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٤٨٢، ومثلها ص ٢٥٩٣.
[٣] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٦٨٦.
[٤] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٥٤٧.
[٥] راجع: أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٤٤٥، ومثل ذلك في الآية٢٥، ص ٢٤٧١-٢٤٧٢.

يقول: "وعبر عن داخل الأرض بظلمات وهو ظلمة واحدة؛ لأنه ظلمة متكاثفة متكاثرة بسبب جهل الإنسان ما يجري في باطنها من أسباب لا يدركها الإنسان إلا بعد أن تظهر".[1]

علم البديع: ومن فنونه:

الطباق: نبه الإمام أبو زهرة على شواهد منه، فقد ورد في قوله تعالى:"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ" آية٥٠ حيث جمع بين الأعمى والبصير. وكذلك ورد في الآية ١٠٣ حيث نجد الطباق بين لاتدركه وتدركه.

المقابلة: ورد في الآية الأولى وهي قوله تعالى: "الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ" حيث جمع بين متقابلين في السماوات والأرض والظلمات والنور. وكذلك في الآية ٥٩ حيث جمع بين طباقين هما: البر والبحر والرطب واليابس[2].

التنكيت: وهو "أن يقصد المتكلم إلى كلمة أوكلام بالذكر دون غيره مما يسد مسده لأجل نكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه"[3]، ورد ذلك في قوله تعالى: "وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ" آية٣١ فقد خصص الظهور بحمل الأوزار وهي الأثقال دون الرؤوس والنكتة في ذلك أن الظهور أحمل للأثقال من الرؤوس. وقد تعرض الإمام أبو زهرة لهذا اللون من علم البديع في كثير من الآيات[4].

هذه أمثلة من الألوان البديعية الواردة في تفسير سورة الأنعام، ويلاحظ أنها من ضمن الألوان البديعية التي لها أثر كبير في بيان سر الإعجاز في القرآن الكريم كما أنها تساعد في تقريب معاني الآيات الكريمة إلى الأفهام لذلك تعرض الإمام أبو زهرة لها كثيراً في تفسيره.

ثانياً – عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)

حياتها ومنهج تفسيرها:

هي عائشة بنت الشيخ عبد الرحمن، ولدت في مدينة دمياط بمصر في ١٦/١١/ ١٩١٣م، أبوها أحد شيوخ المعهد الديني والمدافعين عن نظامه التعليمي، وقد نشأت عائشة في بيئة لها فكرها وتقاليدها، وعاشت في بيت ضم أربعة أجيال، مثلت فيهم الجيل الرابع بين جدها لأمها "الشيخ ابراهيم الدمهوجي".

---

[1] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٥٢٤.

[2] أبو زهرة. زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٤٨٢– ٢٤٨٣.

[3] الميداني. ج٢. ص ٤٧٨. وانظر: المصري. ص ٢١٢.

[4] الآيات ١، ٢، ٤، ٥، ١٠، راجع زهرة التفاسير. ج ٥. ص ٢٤٣١و٢٤٣٣و ٢٤٣٦و ٢٤٣٩و ٢٤٤٥.

لقد حصّن والدها عبد الرحمن بيته من ثقافة العصر، وحال بينهم وبين تعلم اللغات الأجنبية، فلذلك كان يعترض عليها حين أرادت الدراسة في الجامعة، واعتراض الوالد المنكر لتعليمها غير الديني – والذي يعده إثماً– لم يؤثر على صلة الحب والمودة بينهما، فجمعت عائشة ثقافتها الدينية مع ثقافة العصر بوعي آخذة النافع وتاركة الفاسد.

تقول عائشة:"لم يحدث قط أن فتنت عن قديمي بالجديد الذي تعلمته في كتب العلوم العصرية لمراحل الطريق إلى الجامعة، بل كنت كلما تقدمت خطوة على الطريق ازددت إدراكاً لقيمة الرصيد الثمين الذي يمنحني سمة أصالة وتفرد في بنات الجيل[1].

سيرتها العلمية:

نشأت عائشة في بيت علم، حرص والدها على تعليمها، وبدأت الدراسة ١٩١٨م في سن الخامسة، كما حفظت القرآن الكريم خلال الإجازات الصيفية في شبرا بنحوم، وكان والدها رافضاً أن تتلقى ابنته أي تعليم غير ديني وقال لها:" ليس لبنات المشايخ أن يخرجن للمدارس، وإنما يتعلمن في بيوتهن" ولكن جدها توسط لها – نظراً لشدة رغبتها في المدرسة– عند والدها وانتزع موافقته لخروجها للمدرسة على أن تواصل دراستها في البيت إذا قاربت البلوغ، فاستطاعت أن تتفوق فبي دراستها، وحين أكملت دراستها الابتدائية استعانت بجدها كذلك لمواصلة دراستها فأتمت دراستها الراقية بدمياط، ونظراً لوفاة جدها فقد التحقت بدار المعلمات ولكنها أكملت دراستها في المترل فحصلت على الكفاءة للمعلمات١٩٢٩م بترتيب الأولى على القطر المصري كله، ثم الشهادة الثانوية ١٩٣١م.

وقد التحقت بقسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة القاهرة ١٩٣٥م، وقالت عن الجامعة "بأنه الباب الموصد الذي وقفت أمامه طويلا لكي يفتح.." وتخرجت منها عام ١٩٣٩م.

وقد التقت في الجامعة بقمم مصر الفكرية والأدبية وعلى رأسهم الأستاذ "أمين الخولي" صاحب الصالون الفكري والأدبي الشهير "مدرسة الأمناء" وصاحب المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم، والذي تزوجته فيما بعد فكان أستاذها وزوجها، وانجبت منه ثلاثة أبناء.

وقد واصلت دراستها وكانت رسالتها للماجستير عن"الحياة الإنسانية عند أبي العلاء المعري".

[1] انظر حسن جبر المالكي، بنت الشاطيء من قريب، قراءة ٤٦

ونالت بها درجة الشرف الأولى عام١٩٤١م، ونالت بعدها الدكتوراه في تحقيق "رسالة الغفران لأبي العلاء المعري" عام١٩٥٠م، وكان في لجنة المناقشة عميد الأدب العربي طه حسين، وكان ذلك اليوم مشهوداً في حياة القاهرة الأدبية.[١] ويدل اشتغالها بالتحقيق في نص بالغ الصعوبة عن اختيار طريق صعب -كان إلى ذلك الحين- مقصوراً على نوعية معينة من الرجال، وهو طريق تحقيق التراث، وبذلك تكون رائدة نسائية في هذا الميدان.

عملها ومناصبها:

قبل دخول عائشة الجامعة اشتغلت بوظيفة كاتبة بكلية البنات بالجيزة، وبدأت حياتها الأدبية وهي ابنة الثمانية عشر ربيعاً تكتب في الصحف وأرسلت إحدى قصائدها "الحنين إلى دمياط" إلى مجلة النهضة النسائية، فألحقتها صاحبة المجلة بالعمل معها، وكانت تراسل الصحف باسم مستعار هو (بنت الشاطيء) نظرا لشدة محافظة أسرتها كما كانت تكتب في صحيفة الأهرام.

وبعد أن نالت شهاداتها العليا مارست التدريس في جامعات عربية كثيرة، وقد تدرجت من معيدة في قسم اللغة في آداب القاهرة، حتى أصبحت أستاذة كرسي اللغة العربية وآدابها ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٦٢م-١٩٧٢م، وأستاذاً زائراً لجامعات أم درمان ١٩٦٧، والخرطوم والجزائر ١٩٦٨، وبيروت١٩٧٢م، وجامعة الإمارات١٩٨١م، وكلية تربية البنات في الرياض١٩٧٥-١٩٨٣م، وتدرجت في المناصب العلمية إلى أن أصبحت أستاذاً للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب حيث قامت بالتدريس هناك ما يقارب العشرين عاماً.

مؤلفاتها ونشاطاتها وتكريمها:

لقد كتبت بنت الشاطئ في الأدب والنقد والتراجم والتحقيق في كتب التراث والتفسير والحديث فتركت وراءها ما يربو على الأربعين كتاباً.

فمن أبرز مؤلفاتها في الدراسات الإسلامية: التفسير البياني للقرآن الكريم، والقرآن وقضايا الإنسان، وتراجم سيدات بيت النبوة، وحققت الكثير من النصوص والوثائق والمخطوطات، ولها دراسات لغوية وأدبية وتاريخية أبرزها نص رسالة الغفران للمعري، والخنساء الشاعرة العربية الأولى.. ولها أعمال أدبية وروائية أشهرها "على الجسر..سيرة ذاتية".

---

[١] راجع مقال " بنت الشاطيء" http://ikhwanonline,com/Article,asp?ومقال "عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء" على شبكة: www.azaheer.org/vb/shoethred.php?

كما شاركت في العديد من المؤتمرات الدولية[1]، وجاوزت شهرتها أقطار الوطن العربي والإسلامي، وكانت كتاباتها موضوعاً لدراسات غربية ورسائل جامعية في الغرب والشرق.

وقد خاضت بنت الشاطيء معارك فكرية شهيرة واتخذت مواقف حاسمة دفاعاً عن الإسلام، وكان أبرزها موقفها ضد التفسير العصري للقرآن الكريم ودعمها لقضية المرأة وتعليمها واحترامها بمنطق إسلامي وحجة فقهية أصولية، ومنها ردودها على العقاد في هذا المجال، وكذلك كشفها للبهائية وعلاقتها بالصهيونية العالمية وغير ذلك.

لقد حظيت بنت الشاطيء بمكانة رفيعة في أنحاء الوطن العربي والإسلامي، وكرّمتها الدول والمؤسسات، فكرّمتها مصر في عهد السادات ومبارك، ونالت جائزة الملك فيصل، كما كرّمتها المؤسسات الإسلامية المختلفة بعضوية ضنت بها على غيرها من النساء مثل: مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، والمجالس القومية المتخصصة، وكرّمها ملك المغرب، وكانت آخر زيارة لها لحضور فعاليات جامعة الصحوة الإسلامية بالرباط نهاية اكتوبر١٩٩٨م واحتفى بها طلابها الذين أصبحوا روادا، وكانت وفاتها في مطلع ديسمبر ١٩٩٨م[2].

تفسيرها: التفسير البياني للقرآن الكريم ومنهجه

بعد عودة بنت الشاطيء للدراسات القرآنية كان كتابها عن التفسير البياني للقرآن الكريم بمثابة حلقة وصل بين الدراسات العربية والدراسات القرآنية، و لم يكن تفسيراً شاملاً للقرآن بل اقتصر على بعض السور من القصار والمتوسطة في جزئين.

وقد تأثرت بنت الشاطيء بمنهج أبيها الذي يعتمد على القلب (المنهج الإشراقي) ومنهج زوجها الذي يعتمد على العقل (المنهج العقلي) واستطاعت أن تستفيد منهما معاً.

والمنهج الذي بنت عليه تفسيرها وأخذته عن أستاذها الشيخ أمين الخولي وضع له ضوابط في كتابه: "مناهج تجديد" وشرحها عدد من طلابه، وقد ذكرت بنت الشاطيء هذا المنهج ولخصته في مقدمة الطبعة الخامسة لتفسيرها وهو:

١- الأصل في المنهج التناول الموضوعي لما يراد فهمه من كتاب الإسلام، ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

[1] انظر مقدمة الطبعة الخامسة لتفسيرها حيث ذكرت أهم المؤتمرات والندوات التي دعيت إليها.

[2] انظر: هبة رؤوف عزت ، في مقال " عائشة عبد الرحمن ، على شبكة الأنترنيت: إسلام أون لاين

٢- في فهم ما حول النص: ترتب الآيات فيه على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان، كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول لأنها موضع اعتبار لفهم السياق العام لما نتدبر من آيات، ولكن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التي لولاها ما نزلت الآية، والخلاف في أسباب النزول يرجع غالباً إلى أن الذين عاصروا نزول الآية أو السورة، ربطها كل منهم بما فهم أنه السبب في نزولها.

٣- في فهم دلالات الألفاظ: نقدر أن العربية هي لغة القرآن، فنلتمس الدلالة اللغوية التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية. ثم نخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة، وسياقها العام في القرآن كله.

٤- في فهم أسرار التعبير: نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحمله نصاً وروحاً. ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، ونتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات وشوائب الأهواء، وبدع التأويل[١].

منهجها في التفسير

يمكن من تتبع واستقراء تفسيرها بجزئيه أن تتضح ملامح منهجها في تفسيرها فيما يأتي:

أولاً- التفسير الموضوعي: ذكرت في مقدمة تفسيرها بأنه الأصل في منهج التفسير الذي تلقته عن أستاذها - أمين الخولي- وهو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن منه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذاك فتقول: "وهو منهج يختلف والطريقة المعروفة في تفسير القرآن سورة سورة، يؤخذ اللفظ والآية فيه مقتطعاً من سياقه العام في القرآن كله مما لا سبيل إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه، أو لمح ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية"[٢].

وكان تطبيقها لهذا المنهج في تفسير بعض سور قصار ملحوظ فيها وحدة الموضوع وأكثرها من السور المكية لتأكيده على الأصول الكبرى للإسلام وهي بهذا توضح الفرق بين التفاسير المعهودة في طريقتها، ومنهجها الاستقرائي الذي يتناول النص في جوّه الإعجازي، ويقدر حرمة كلماته بأدق الضوابط: "القرآن يفسر بعضه بعضاً" وهي ترى أن هذه المحاولة

[١] الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن، ج١، دار المعارف، ص ١٠- ١١.
[٢] مقدمة تفسيرها ص ١٧-١٨.

تكشف عن شطط التأويل في كثير من كتب التفسير واللغة والبلاغة حين تحمّل ألفاظ القرآن وعباراته ما يأباه القرآن عند الاحتكام إليه.

القرآن يفسر بالقرآن في بيان المعنى كما في كلمة (الحطمة) حيث تستعرض ورودها فتقول: "وثلاث مرات بصيغة حُطام في آيتي (الزمر٢١، والحديد٢٠) للزرع المصفر اليبيس المهشم، تمثيلا لحطام الدنيا.. والقرآن يغنينا عن تأويل بما تولى من بيان الحطمة في الآيات بعدها "[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة لأن التفسير كله قائم على هذا الأساس، ففي الآية التي مرت "مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ" القلم:٢، تقول عن معنى النعمة: "وقد سبق استقراء ما في القرآن من لفظ نعمة في تفسير آية التكاثر: "ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" وهدى الاستقراء إلى أن القرآن يستعمل النعمة لنعيم الدنيا، ويخص صيغة النعيم بدلالة إسلامية على نعيم الآخرة"، وأحيانا تعرض أقوال المفسرين وترجح ما تراه مناسبا لمنهجها كما في جملة "بِنِعْمَةِ رَبِّكَ" فتقول: وجمهرة المفسرين على أن جملة "بِنِعْمَةِ رَبِّكَ" اعتراضيةكما تقول لصاحبك: أنت بحمد الله فاضل، وهذا أقرب ممن تأولوه: ما أنت بمجنون والنعمة بربك، ذكره أبو حيان في (البحر) وقال: إنه تفسير معنى لا تفسير إعراب[2].

ومثل ذلك في كلمة "الضلال" في تفسير آية "وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى" الضحى:٧، حيث أورد المفسرون لها تأويلات كثيرة تخلصاً من معنى الكفر الذي ينافي عصمة الأنبياء ثم تخلص إلى القول: "وما بنا حاجة إلى كل هذه التأويلات.. بل يكفي في الرد على من فسروا الضلال بالكفر: أن الاستعمال القرآني لا يلتزم دائما هذا المعنى الاصطلاحي، وإنما لُحظ فيه الأصل اللغوي من ضلال الطريق أو عدم الاهتداء إلى الصواب" وتذكر أمثلة منها قوله تعالى: تالله إنك لفي ضلالك القديم" و "إن أبانا لفي ضلال مبين" وليس الضلال هنا كفراً، وإنما هو الشغف بيوسف[3].

ثانياً: الاحتكام إلى القرآن في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية تقول: "نعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين ولا نعرضه عليها، ولا نأخذ فيه بتأويل علماء السلف على صريح

---

[1] انظر تفسيرها ١٧٥/٢.

[2] تفسيرها ٤٥/٢-٤٦.

[3] تفسيرها، ٤٤/١-٤٦، وانظر آيات أخرى، الشعراء:٢٠، والبقرة:٢٨٢.وانظر في تفسيرها إيراد أقوال العلماء لتفسير كلمة الضحى" فتقول: نرى القرآن الكريم استعمل الضحى مقابلا للعشية في آيات منها النازعات:٤٦ و٢٩، والأعراف:٩٧، وطه:٥٩.

نصه وسياقه لتسوية قواعد الصنعة النحوية وضوابط علوم البلاغة، إذ القرآن هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجازه وبيانه وهو النص الموثق الذي لم تشبه – من أي سبيل– أدنى شائبة مما تعرضت له رواية نصوص الفصحى من تحريف أو وضع، ثم إنه ليس بموضع ضرورة كالشواهد الشعرية ليجوز عليه ما يجوز عليها من تأويل"[1].

ومن الأمثلة على ذلك تعليقها على موقف المفسرين الذين وقفوا طويلاً عند تفسير كلمة: "أَرَأَيْتَ" في سورة العلق التي تكررت ثلاث مرات في آيات متتالية دون أن يصرح فيها بالمفعول الثاني للفعل "رأى" على ما تقتضيه الصنعة الإعرابية. وبعد أن ذكرت رأي الزمخشري في الكشاف ورفض أبي حيان لمذهب الزمخشري دون أن يتخلص هو أيضا من الصنعة اللغوية وبعد ذلك تقول: "ونحتكم إلى البيان القرآني فيما اختلفوا فيه، فتلقانا ظاهرة أسلوبية لافتة إلى أن القرآن قلما يتعلق بذكر مفعول ثان في الأسلوب الاستفهامي ب" أَرَأَيْتَ" خطاباً للجميع، وإنما يستغني عن هذا المفعول بتقرير يلفت إلى موضع العبرة والنذير كما في آيات:" أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ.فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ " الماعون:١[2]، ومثلها السؤال التقريري خطابا للجمع في آيات الواقعة: "أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ.أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ.."؟ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ..."[3]، فتعقب بعد ذلك بالقول:"هي إذن ظاهرة أسلوبية كان ينبغي أن تلفت إلى وجه في البيان العربي يستغني عن المفعول الثاني ل"رأى" حين تقترن بهمزة الاستفهام في الخطاب فلا نشغل بالتماس هذا المفعول الثاني خضوعا للصنعة النحوية، بل أولى منه أن نتدبر سرّ هذه الظاهرة الأسلوبية وهو الالتفات إلى موضع العبرة والبصر والتنبيه بما يغني عن التعلق بجواب محذوف أو مقدر[4].

ثالثاً– الحرص على فهم النص من كل لفظة وحركة ونبرة للوصول إلى أسراره البيانية بالدرس المنهجي الاستقرائي والتدبر المرهف: في اللفظ لا يقوم مقامه سواه، وفي الحرف لا يؤدي معناه حرف آخر، وفي الحركة أو النبرة تأخذ مكانها في النظر الباهر...وهي بذلك تنفي الترادف فتقول في مقدمة الجزء الثاني:" فإن القضية الكبرى في هذا التفسير وكل تفسير هي أنه

[1] بنت الشاطيء، التفسير البياني ١١/١ المقدمة

[2] وانظر آيات أخرى مثل: مريم: ٧٧–٧٨، والفرقان:٤٣، والجاثية: ٢٣،و والنجم:٣٣– ٣٨.

[3] ومثلها آيات يونس: ٥٩، الشعراء:٧٥، فاطر:٤٠، الزمر:٣٨، النجم: ١٩، الأحقاف:٤.

[4] انظر تفسيرها ٢٩/٢.

لا يعني بحال ما تقديم كلمة يمكن أن تقوم مقام الكلمة القرآنية في سياقها على وجه المماثلة والترادف[1].

وعلى هذا لا ترى في القرآن ما يقول عنه النحويون حرفاً زائداً بل كل له معنى، فمثلاً: في قوله تعالى: "مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ" القلم:٢، تقول عن الباء التي ارتبطت بكلمة نعمة: "وقد جرى النحاة والمفسرون على القول بأنها زائدة، فهي تعمل في لفظ الخبر، ويبقى الحكم الإعرابي على أصله، يمنع من ظهور حركته اشتغال المحل بكسرة حرف الجر الزائد..وباستقراء ما في القرآن من خبر ليس وما، يلقانا اطراد وقوع هذه الباء المقول بزيادتها في خبر المفرد غير المؤوّل، لم تتخلف إلا في بضع آيات لها سياقها الخاص الذي يوجه إلى الاستغناء عن الباء[2]، ثم تقول:"ولا يهون القول بأن الباء حرف جر زائد، إذ مقتضى القول بزيادتها إمكان الاستغناء عنها، وهو مالا يؤنس إليه البيان القرآني..والنحويون من المفسرين يذهبون إلى أن الباء زائدة لتأكيد النفي[3]، ونقول: إن الآية لا تؤخذ بمعزل عن نظائرها، والذي نطمئن إليه في هذا التدبر لما استقرأنا من هذا الأسلوب في القرآن هو أن الباء تأتي في خبر المنفي بما أو ليس فتجعله جحدا وإنكارا، وتضرب لذلك أمثلة منها: "وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم" و"وما أنا بظلام للعبيد" و"وما الله بغافل عما تعملون"[4].

وعلى هذا رجحت قول ابن القيم – في تفسيرها لمطلع سورة القلم– في تفسير الحروف المقطعة على هذا الأساس بعد أن ذكرت أقوال العلماء وهو التنبيه على شرف الحرف وعظم قدرها وجلالتها إذ هي مباني كلامه تعالى...فقالت: وهذا الوجه قريب إلى مجال دراستنا البيانية" كما فصلت هذا القول في كتابها (الإعجاز البياني).

وأخيراً يمكن أن نلاحظ في منهجها ما يأتي:

أولاً: **نقدها للمنهج المتبع في دروس التفسير**: تقول المفسرة: "وكان المنهج المتبع في درس التفسير – إلى نحو ربع قرن – تقليدياً أثرياً لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم، ورأت أن الخولي هو الذي خرج عن ذلك النمط التقليدي

[1] مقدمة تفسيرها ٢/٩.

[2] تشير المفسرة إلى تفصيل هذه المسألة في مبحث سر الحرف من كتابها (الإعجاز البياني)..

[3] وهي تشير إلى الزمخشري في الكشاف في تفسير سورة القلم.

[4] انظر تفسيرها ٢/ ٤٦.

وتناوله نصاً لغوياً بيانياً على منهج أصّله، وهي ترى أن يجعل النص القرآني موضوعاً لدراسة منهجية على غرار ما يفعل بنصوص أخرى لا سبيل لمقارنتها بالقرآن الكريم في إعجازه البياني.

لذلك كانت حريصة على توثيق العلاقة بالعلوم العربية والإسلامية، فحين تدرس العربية توثقها بالبيان القرآني وحين تدرس العلوم الإسلامية توثقها بالعربية لغة وبياناً" من حيث لا يصح لدارس فقه الإسلام دون رسوخ في علوم العربية، كما لا يصح له رسوخ في العربية دون دراية بعلوم القرآن والإسلام"[1]. كما أنها ترى أن الدراسة التخصصية في فنون اللغة العربية هي الطريق الأمثل لتدبر القرآن ووعي بيانه فتقول في مقدمة الجزء الأول: "كلما ازددت تعمقاً في الدرس وفقها للعربية وقفت مبهورة أمام جلال هذا النص المحكم، وعدت أتلو من معجز آياته ما أدركت معه لماذا أعيا العرب؟".

كما تعد الدراسة المنهجية لنص القرآن الكريم طريقاً لفقه وإدراك دلالاته ومقاصده، سواء كان الدارس يريد أن يستخرج أحكامه الفقهية، أو يستبين موقفه من القضايا الاجتماعية، أو غير ذلك فهو مطالب بأن يعد لمقصده عدته من فهم مفردات القرآن وأساليبه ولمح أسراره[2].

ثانياً– تنقية التفسير من الشوائب: وهي أنواع أولها الإسرائيليات التي حشيت بها كتب التفسير والتي حاول بها يهود ممن دخلوا الإسلام طوعاً أو نفاقاً وتطعيم فهم المسلمين لكتابهم الديني بعناصر إسرائيلية، وشوائب أخرى جاءت نظراً لتباين أذواق المفسرين وعقلياتهم وبيئاتهم، وأنماط شخصياتهم من ذلك العالم الواسع..وتقاسمته ألوان من عصبيات مذهبية وسياسية وطائفية..تتذوقه متأثرة بظروفها الخاصة وتوجه النص توجيها يعوزه في كثير من الأحيان ذوق العربية النقي ومزاجها الأصيل، وقد ينحرف به عن وجهته ضلال التعصب، أو خطأ المنهج أو قصور التناول[3].

وهي ترى: "إن تفسير القرآن بهذه الطريقة المنهجية سبيل إلى الوحدة العربية الإسلامية المجتمعة على كتاب الله.. ولن يكون ذلك إلا إذا جدت المحاولة في درسه وفهمه وتذوقه على منهج دقيق محرر". لذلك لا تتفق عائشة مع القصص الذائعة التي تسللت إلى كتب التفسير

[1] المصدر نفسه.
[2] تفسيرها ١٤/١-١٥.
[3] تفسيرها ١٦/١.

والتي تقول أن حواء كانت سبب خروج آدم من الجنة، وتعلقت بنت الشاطيء بالقرآن الكريم الذي كرّم المرأة فطالبها بمشاركة الرجل في تعمير الحياة كما حذّرت في ذات الوقت من مدسوسات الإسرائيليات وأباطيل الأساطير التي شابت تراثنا الفكري..

ومثل ذلك وقفت من تأويلات الإشاريين مما لا دليل عليه مثل تأويل كلمة(الضحى) بأنه وجه محمد ﷺ والليل شَعره، أو أن الضحى هم ذكور أهل بيته ﷺ والليل إناثهم، ويحتمل أن يقال: الضحى نور علمه الذي يعرف به المستور من الغيوب، والليل عفوه الذي يستر به جميع العيوب،.. إلى آخر هذه التأويلات الإشارية التي لا موضع لها في تفسير بيان النص القرآني[1].

ثالثاً: مزاوجتها بين العقل والنقل: إن أهم ما يميز عمل بنت الشاطيء هو مزاوجتها ببراعة بين العقل والنقل في تفسيرها، فهي توظف ما ذهب إليه الأقدمون فتثبت مسألة النقل وتمد الجسور من خلال العقل لتكون المحصلة النهائية التجديد لا التقليد، التجديد منهجاً وتناولاً وهدفاً، فقد فندت بنت الشاطيء بعض آراء السلف وقبلت البعض الآخر، وكان هذا منهجها الذي مهّد لتقديم إضافتها الخاصة في تطوير بعض التفاسير في إطار حدود واضحة التزمتها مؤداها: أن الأولوية للنص القرآني، لا للمنهج الذي من أجله لجأ الكثيرون إلى ليّ عنق النص، فقدمت بمنهجها العقلي الإصلاحي نموذجاً لعملية البناء الفكري للأمة.[2] تقول عائشة في مقدمة الجزء الثاني:"كما ننتفع بجهود المفسرين حين نعرض أقوالهم على القرآن الكريم فنقبل منها ما يحتمله نصا وسياقا..".

وقد بنت د. عائشة نظرية الإعجاز على: الإعجاز البياني إذ تقول: "الإعجاز البياني هو الذي ذهب إليه الأكثرون من علماء النظر، وسيطر على مباحث المتكلمين في الإعجاز، سواء منهم من جعلوه الوجه الذي يصح به التحدي بالسورة الواحدة من القرآن، ويفسر موقف العرب من المعجزة، والذين ذكروا مع إعجازه البلاغي غيره من وجوه الإعجاز الأخرى التي لا مشاحة فيها، وإنما الخلاف في أن تنفصل عن إعجاز نظمه وبلاغته. والواقع أن المصنفات الأولى في الإعجاز على اختلاف مذاهب أصحابها جاءت أشبه بمباحث بلاغية مما قدروا أن إعجاز القرآن يعرف بها خدمة للإعجاز البلاغي"[3].

---

[1] تفسيرها ١/٣٢.

[2] من بحث قدم لندوة بنت الشاطيء: المرأة والعصر، في موقع إسلام أون لاين

[3] الإعجاز البياني ص٩٤.

ثالثاً: شوقي ضيف: حياته ومنهجه في التفسير

حياته:[1]

ولد أحمد شوقي عبد السلام ضيف ببلدة أولاد حمام محافظة دمياط فى١٣ من يناير سنة ١٩١٠م، وتعلم في المعهد الديني بدمياط والزقازيق فتجهيزية دار العلوم فكلية الآداب بجامعة القاهرة وفي عام ١٩٣٥م حصل على ليسانس الآداب بترتيب الأول ، فدرجة الماجستير بمرتبة الشرف سنة ١٩٣٩م وكان موضوعها (النقد الأدبي في كتاب الأغاني للأصفهاني)، ثم حصل على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الممتازة ١٩٤٢م وكان موضوعها(الفن ومذاهبه في الشعر العربي) بإشراف الأستاذ الدكتور طه **حسين** تتلمذ د. شوقي ضيف على يد الشيخ محمد علي عبد الرحمن والد الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، وفي الجامعة كان تلميذًا للدكتور طه حسين، ورغم ذلك لم يظهر أثر طه حسين على منهج د. شوقي ضيف الذي كان يُحبُّ التراث العربي ويقدره ويعتز به أيُّما اعتزاز على العكس من أستاذه طه حسين الذي كان مبهورًا بالثقافة الفرنسية والحضارة الأوروبية.

عمل محررا بمجمع اللغة العربية ثم عين معيدا بكلية الآداب فى جامعة لقاهرة سنة ١٩٣٦م فمدرسا سنة ١٩٤٣م فأستاذا مساعدا سنة ١٩٤٨م فأستاذاً لكرسي آداب اللغة العربية في سنة ١٩٥٦م فرئيسا للقسم سنة ١٩٦٨م فأستاذا متفرغا عام ١٩٧٥م فأستاذا غير متفرغ. انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٧٦ فأميناً عاماً له سنة ١٩٨٨م فنائباً للرئيس ١٩٩٢م فرئيساً للمجمع ولاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ١٩٩٦م.

حصل عام ١٩٧٩ على جائزة الدولة التقديرية (مصر) كما حصل عام ١٩٨٣ على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي وهو حاصل على وسام الاستحقاق المصري من الطبقة الأولى وجائزة مبارك في الآداب عام ٢٠٠٣ إضافة إلى تكريمات واسعة من مختلف الهيئات والجهات العربية والعالمية.

إنتاجه العلمي: ألف سلسلة كتب عن (تاريخ الأدب العربي) شملت تاريخه في مختلف عصوره وأقاليمه (في عشرة مجلدات)، وله أكثر من أربعين كتابا في الدراسات القرآنية والأدبية والنقدية والبلاغية مع بحوث تحليلية عن البارودي وشوقي والعقاد وابن زيدون،

[1] راجعت في ترجمته: شوقي ضيف الموسوعي: عمرو محمود، وضيف بعيون الآخرين، وموقع: إخوان أون لاين على الإنترنت.

وله تحقيقات لكتب أدبية قيمة، وكثير من كتبه مراجع في الجامعات المصرية والعربية، وقد ترجمت بعض أعماله مثل كتابه (عن النقد) الذي ترجم إلى الإيرانية كما ترجم كتابه (الأدب العربي المعاصر) إلى الصينية وكتابه عالمية الإسلام الى الإنجليزية والفرنسية.

وشوقي ضيف أحد جهابذة النقد ومذاهبه، وأبرز اعلام الآداب العربية والمجدَّد الفذ في لغة الضاد، صيغاً ومصطلحات ومفاهيم واكبت العصر إذ هو ضليع في علوم اللغة العربية ومعاجمها، وصاحب أشمل موسوعة كُتبت في تاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث وهي بحق ثمرة صبر وجهد ودأب على امتداد عقود، ونتيجة تراكم خبرات وتجارب وعشرات الدراسات التفصيلية كتبها في أكثر من ثلاثين عاما طبعت إلى الآن أكثر من اثنين وعشرين طبعة وتدرس ضمن مناهج الجامعات العربية وتعد تلك الموسوعة من أهم أعمال هذا العالم الجليل، ومن أبرز موسوعات الأمة الثقافية والأدبية التي تشكل على مر تاريخ التراث العربي والإسلامي امتدادا لعبقرية الحضارة، بالإضافة إلى عشرات الكتب في البلاغة والنحو واللغة والتفسير القرآني والحضارة الإسلامية والشعر والنقد التطبيقي وغيرها. ومنها على سبيل المثال لا الحصر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي ١٩٤٣م، والفن ومذاهبه في النثر العربي ١٩٤٦م، التطور والتجديد في الشعر الأموي ١٩٥٢م، دراسات في الشعر العربي المعاصر١٩٥٣م، في النقد الادبي١٩٦٢م، البلاغة تطور وتاريخ١٩٦٥م، المدارس النحوية ١٩٦٦م، سورة الرحمن وسور قصار(عرض ودراسة)١٩٧١م، الشعر وطوابعه الشعبية ١٩٧٧م، تيسير النحو التعليمي١٩٨٦م، عصر الدول والأمارات (الأندلس) ١٩٨٩م ، الوجيز في تفسير القرآن الكريم١٩٩٥م، وغيرها كثير.

وقال الدكتور محمود مكي عن إسلاميات شوقي ضيف ودراساته المتنوعة في هذا المجال، فقد تأثر ضيف في نشأته الأولى في قريته التابعة لمحافظة دمياط بوالده الذي كان شيخاً أزهرياً، مما جعله يحفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة من عمره، وإن كان الجهد الأكبر الذي استغرق حياته بعد تخرجه من الجامعة موجهاً لدراسة الادب وتاريخه، فقد ظل اهتمامه بالقرآن الكريم وتفسيره حياً دائماً لاسيما أنه قام بتدريس التفسير ومذاهب المسلمين فيه منذ أوائل الخمسينيات من هذا القرن ثم آتى هذا الاهتمام ثمراته في عدد من الكتب يمكن تصنيفها في ثلاثة مجالات:

الأول: في تفسير القرآن الكريم، وله فيه كتابان رئيسيان هما: الأول: تفسير سورة الرحمن وثماني سور قصار، ويشرح في مقدمة الكتاب منهجه في التفسير، وهو تفسير القرآن بالقرآن متبعاً في ذلك منهج ابن تيمية وابن القيم الجوزية والإمام محمد عبده والشيخ محمد عبد الله دراز. ويركز في تفسيره للسور القصار على عرض المبادئ التي ترتكز عليها العقيدة الاسلامية، وثاني كتاب هو الوجيز في التفسير ويعتبر تفسيراً كاملاً لكتاب الله توخى فيه الإيجاز، وحرص على التحري في الانتقاء من مصادر التفسير الكبرى والوصول إلى لفتات ورؤى لم يسبق إليها.

أما **المجال الثاني:** فكان تحقيقه لكتابين هامين من كتب التراث الاسلامي وهما: كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر ابن مجاهد (ت ٣٢٤) والذي يعد من أقدم كتب القراءات وأجلها، وقدم له شوقي بمقدمة عن المؤلف ومنهجه في اختيار ما ارتضاه من القراءات ووصف النسخ المخطوطة ومنهجه في التحقيق، والكتاب الآخر هو كتاب «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبد البر النمري المتوفى ٤٦٣هـ والذي يعد من أكبر فقهاء الأندلس، وترجع أهمية كتابه هذا إلى الاختصار الذي قصد إليه نافياً ومستبعداً كثيراً مما لحق بسيرة ابن اسحاق من روايات ضعيفة ومن شعر مشكوك في صحته.

أما **المجال الثالث** فهو مؤلفاته في الدراسات الاسلامية وتعد ثمرة دراساته في القرآن والحديث الشريف، وأهمها كتاب عالمية الاسلامية، وكتاب الحضارة الاسلامية من القرآن والسنة، وأخيراً كتاب محمد خاتم المرسلين والذي يقدم فيه رؤية جديدة لسيرة رسول الله ﷺ.

ويصنف الدكتور كمال بشر إنتاجه العلمي إلى: الصنف الأول: الأدب العربي وتاريخه والصنف الثاني: الدراسات الإسلامية والصنف الثالث: الأعمال المجمعية.

ومع امتداد العمر الحافل بالإنجاز، كانت السنوات الأخيرة من عطاء شوقي ضيف واهتماماته، تشهد تحولاً عميقاً إلى ما يمكن تسميته بالمرحلة الروحية في حياته، يطوف فيها قلمه ويحلق بعيداً في أجواء الإسلام والقرآن والسنة، فتتابعت كتبه التي توهجت بالحس الإسلامي الشفيف والتناول الروحي السمح: الوجيز في تفسير القرآن الكريم، عالمية الإسلام، والحضارة الإسلامية من القرآن والسنة، ومحمد خاتم المرسلين وإعجاز القرآن، والقسم في القرآن الكريم، وسورة الرحمن وسور قصار، وكأن هذا التحول وهذه الالتفاتة يمثلان – أيضا– عودة إلى الطابع الموسوعي الذي ظل يمثله شوقي ضيف وجيله منذ بداياته، ومفهوم الثقافة

العربية لدى هذا الجيل في معناها الواسع والشامل، تتداخل فيها الدراسة الأدبية مع التاريخ الأدبي والدراسة النحوية بالعلوم البلاغية، والاهتمام بدراسة القراءات وعلوم الحديث والتفسير مع البحوث اللغوية ودراسة اللهجات والمعاجم اللغوية.

لم يكن العلامة الدكتور ضيف مجرد باحث في العلوم اللغوية والنقدية والأدبية والنحوية فحسب وإنما كان متبحراً في علوم الحضارة الإسلامية والدراسات المتعلقة بها من سيرة وسنة وقرآن ومعجزات ومنجزات، وقد أثرى المكتبة الإسلامية بالعديد من روائع مؤلفاته.

صدرت عنه مؤلفات ثلاثة هي : ١- شوقي ضيف: رائد الدراسة الأدبية والنقد العربي للدكتور عبد العزيز الدسوقي ٢- شوقي ضيف: سيرة وتحية للدكتور طه وادي ٣ - قراءة أولية في كتابات د. شوقي ضيف للأستاذ أحمد يوسف علي. كما أن هناك رسالة أكاديمية عنه قدمتها للجامعة الإسلامية الحرة بطهران الباحثة الإيرانية (شكوة السادات حسيني) نالت بها درجة الماجستير بامتياز وكان موضوعها (الآراء النقدية في النحو والبلاغة للدكتور شوقي ضيف). وكتبت دائرة معارف الأدب العربي الصادرة في لندن ونيويورك ترجمة له وقالت فيها عنه: إنه أحد الشخصيات المؤثرة بشكل واضح فى الدراسات العربية المعاصرة.

منهجه في تفسيره

أنجز تفسيره المختصر للقرآن الكريم في عام ١٩٩٤م، ط دار المعارف بمصر، وهو في مجلد واحد من القطع الكبير في١٠٤٩صفحة، وقد استعان فيه بخبرته الطويلة مع كتاب الله حيث ظل على مدى٤٠عاماً يدرس تفسير القرآن الكريم لطلاب قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وقد جاء هذا التفسير بلغة سهلة واضحة وجيزاً بقدر الحاجة إلى بيان معاني الآيات مستضيئاً بالتفاسير القديمة وبخاصة تفسير الطبري والزمخشري والفخر الرازي والقرطبي والحديثة كتفسير الشيخ محمد عبده، التقط منها دررها محاولاً عرضها على القارئ في يسر.

وقبل عرض منهجه في تفسيره نقف على كتابه معجزات القرآن ط بدار المعارف ٢٠٠٢م لصلته بموضوع تفسيره: الكتاب في مقدمة وسبعة فصول: ذكر في الثالث منها معجزات متعددة في الصرفة والسماع والتلاوة والإخبار بالغيب، وعالج في الرابع المعجزات الإضافية في قصص الرسل ومنهم هود وآدم ونوح، وإبراهيم ويوسف وموسى، وتناول في الخامس الإعجاز العلمي في تكوين الكون، ثم العلوم المستنبطة عند الغزالي وما بعده، وفي

السادس عرض للمعجزة الحضارية في حياة الأسرة و..، وأخيراً وفي السابع تناول المعجزة البلاغية في تراثنا الأدبي من الجاحظ إلى الرماني والباقلاني وعبد الجبار والجرجاني، والرافعي من المحدثين. وهكذا ندرك أن مفهوم الإعجاز عنده متنوع، وليس قاصراً على الجانب البلاغي.

ويمكن معرفة منهجه في التفسير من مقدمة تفسيره الوجيز ومقدمة تفسيره سورة الرحمن وقصار السور فيما يأتي:

أولاً: الاعتماد على مصادر التفسير السابقة مثل كتب الطبري والزمخشري والفخر الرازي والقرطبي والبيضاوي وابن كثير، ومن المحدثين اسماعيل حقي ومحمد عبده ومحمد الطاهر بن عاشور، لكنه لم ينص على آراء المفسرين.

ثانياً: قصد الإيجاز في التفسير موافقاً العنوان، واتسم أسلوبه بالوضوح والسهولة.

ثالثاً: لم ينص على الآراء النحوية والبلاغية، ولم ينص على أسباب النزول ولا على القراءات.

رابعاً: لم يقحم شيئاً من الإسرائيليات في قصص الأنبياء، ونحى تفاسير غلاة التشيع والتصوف.

خامساً: ذكر في أول تفسير كل سورة سبب التسمية ومعناها وأهم موضوعاتها بإيجاز.

وله لفتات خاصة في فهم الآيات نبه عليها في مقدمته منها: في معنى الختم ونسبته على الله أنه تمثيل لتصميم الكفار على كفرهم، للدلالة على تماديهم، وهو نتيجة كفرهم وضلالهم[1].

والحمد لله رب العالمين.

[1] راجع الوجيز في التفسير، المقدمة ص١